

## أحلم بالجزائر التي حلمت بها قصيدتي نصيرة محمدي: شعراء الهامش هم جوهر الشعرية الجزائرية



تنتهي الشاعرة الجزائرية نصيرة محمدي إلى جيل عرف بجيل الهامش واليتم، برزت في ظرف استثنائي عاشته الجزائر، وحملت في نصوصه جينات مواجهة آلة الموت والإرهاب والقتل التي كانت تعصف بكل شيء، واجهت كل هذا بشعرها النابض بالحياة والحب والجمال. في هذا الحوار الخاص تتحدث الشاعرة نصيرة محمدي عن البدايات التي شكلت النضج والوعي والكتابة، وتبوح ببعض هموم وهواجس ونظرتها إلى الواقع والمستقبل في ظل ما تشهده الجزائر من حراك وثورة وأفاق جديدة. نصيرة محمدي اشتغلت في الصحافة والتعليم بالجامعة، وأسست مع مجموعة من الكتاب "رابطة كتاب الاختلاف" وترأستها خلال التسعينات، كما شاركت في مهرجانات وملقيات وطنية ودولية، وقد أصدرت مجموعة مؤلفات منها: غجرية / كأس سوداء / روح النهرين / جسد الغياب / نسيان أبيض / سيرة كتابة / بجوارهم: حوارات، وترجمة بعض أشعارها إلى اللغة الفرنسية.



أبوبكر زمال  
شاعر جزائري

تعود الشاعرة الجزائرية نصيرة محمدي إلى سؤال البدايات في دروب الكتابة بالكثير من النوستالجيا، تقول "السؤال يجعلني التفت إلى تلك التجربة الإنسانية التي تقاطعت مع تجارب آخرين وإلى قراءة مسار معقد وملتبس مع الحياة والكتابة والأشياء. وأشياء سقطت، وأخرى تغيرت، وما بقي هو الجوهر لا أعرف حجم الألم الذي رافق كل ذلك؛ ولكن بوعي مجروح تقطع تلك المسافات الغامضة والغريبة وتتعارف معها. ذلك الغموض ليس إلا نحن، وتلك الغرابة قدر الكائن المنذور للسؤال والقلق واللاطمئنان. لم أطمئن في حياتي إلى شيء. لم يخلق الشاعر ليعرف السكنية واليقين هو متوثب ومشتعل وملتاع. تلك اللوعة التي تنتهي في كتابة تتجاوزها المخيلة والمعرفة والتجربة ولعنة أن تولد وتتخطب في كل منعطف، وجهة، ومنعرج، وزاوية باحثا عن مسار جديدة، وإبواب، ومفاتيح لتتسلل روحك نحو النور. تلك الكثافة الإنسانية والجمالية التي تلتحم فيها بالكون". هذه هي اللحظة الأعرق في حياة الشاعر "تقول الشاعرة نصيرة، فتحنن "لا تنتبه إلى كلماتنا؛ الكلمات التي تحرق، والتي تنسك، والتي تضيء، والتي تظل. لولاهما لانتفى وجودنا وكان العدم. إننا نولد في كلماتنا ورؤاها الممزوجة بأجسادنا ونظراتنا ولمساتنا وإنواقنا وكل تلك الروائح والأصوات المنبثقة من جهات العالم".

### الموت والكتابة

"لطالما ارتبطت الكتابة بالموت أكثر من الحياة". فبالكتابة تقول الشاعرة نصيرة "تواجه موتنا في كل لحظة. ليس علينا أن نفهم ذلك، ولكن علينا أن نبداً في كل مرة من جديد. نبداً من موتاتنا الكثيرة في الحياة. الكتابة تهديد وخطر على الموت. هي عملية قتل لما يروعا، ويلوعنا، ويحجب عنا الجمال والضوء. الشعر ربما هو ثمرة العزلة والصمت والهيامش. لا ارتواء من نبعه، ولا امتلاء من روحه، ولا وصول أبداً. كيف أنظر إلى الشعر والذاكرة معاً؟ كيف أرى الأشياء تلتحم بالأشياء؟ كيف أكتب الشاعرة باصابع مرتعشة؟ كيف أقرا ما غاب وسقط مني، ما تراءى لي أنه النسيان. جزء مني هنا، وجزء آخر لا أعرف أين مضت؟ أنا المتروكة، أو أنا التي جعلت الترك هبتها الأخيرة في الكون؟ هذا حس المتناقضات التي تتكشف في ذاتي. وهذا حدس الكائن الذي عليه أن يتخلص من الوثوقيات واليقينيات والجاهز. يدمر ربما ليبني ربما ليعبر عبوره الكبير. نحن نتعلق بالكلمات أم بظلالها؟ نحن نحسد الأشياء أم نهايتها؟ أنا في كل يوم امرأة أخرى. رائحة أخرى. صوت

ولد شعرنا من الغياب ومن الهامش.. وشكل شعراء الهامش جوهر الشعرية الجزائرية

لكننا أمنا بفكرة نبيلة حققت ثمارها. "كنت أكثر تفاعلاً في مراحل سابقة لبناء ثقافة مغايرة ومختلفة تحثي بالتعدد والحدائق والاختلاف والتنوير". تجيب عن سؤال حول واقع الثقافة في الجزائر؟ "بأس النخب وغياب مشروع حقيقي، وهشاشة وأقنعت جعلني متعبة وعمدية في الكثير من الأحيان".

### الحراك الجزائري ثورة أخرى

تنظر الشاعرة نصيرة محمدي إلى الحراك الذي هب في ربوع الجزائر على أنه "ثورة الجزائر الثانية وهي هزة حقيقية في روعي التي حملت عبء بلد غني وخصب وبشكل قسرة بخبراته، وشبابه، وثرواته". "كنت من البداية مع الثورة تترى ما يتجاوز السطحي، وانغماري في يوميات الحراك حاملة بدولة مدنية حديثة ومتطورة، ديمقراطية وحرية. كان وعي الشباب سلاحاً لاستكمال هذا المسار الخطير والموقع. قوة وعي ونضج رافقت المسيرات المتحضرة كل جمعة، ومحت من ذاكرتي الجمعات السوداء الحزينة في فترة التسعينات. أمنت بهذا الشعب من جديد وبروحه الثورية. وتزعجني نخبة الجبائنة والمستتلة والانتهازية التي استفادت من كل المراحل". "ومع ذلك سناظر أحلم بجزائر أخرى وبإمكانية أنبعث الحياة من جديد".

في الأخير ترى الشاعرة نصيرة محمدي أن نص هذه الثورة لم يكتب بعد. إنها حالة تأمل، وقراءة جديدة لكل ما كتب وما سيكتب. عين الثورة تترى ما يتجاوز السطحي، والظاهر، والعابر". "نحن نتوارى خلف النصوص. الغبار هو ما يبقى منا. خبراتنا ومعارفنا تترسخ في ما يمكن أن يتم بالقراءة والكتابة معاً. هما السر والرؤية ليفيض الجمالي والإنساني بقوة الروح والحياة".

خزاناً كبيراً للكتابة وإبداع حالة ليست جزائرية ولكنها حالة إنسانية عالية الجرح ودامية الأثر".

### إضافات تجربة الاختلاف

كان للشاعرة نصيرة محمدي أثر بالغ في مرافقة وترأس واحدة من أهم الجمعيات الثقافية وهي تجربة تكشف عن بعض خطوطها قائلة "كانت تجربة الاختلاف جزءاً من مساري الصعب والغني أيضاً. في مشهد قائم وماساوي كنت في أتون النار بين عملي في الصحافة وانخراطي في جمعية ثقافية واجهت تحديات قاسية، وراهننت على الثقافة والكتاب كحل لازمتنا الكثيرة ومحاولة مقارنة أسئلة جوهرية وملحة في حياتنا الجزائرية. سؤال الثقافة والمرأة واللغة والديمقراطية والحريات في ظل هيمنة الدين والسياسي، وفي ظل ظروف اقتصادية قاهرة، وغلغلق لكل أوجه الحياة. كانت الجزائر معزولة عن أن نقاوم ونحيا. عشنا بالقليل وحلمنا كثيراً وكانت هذه التجربة اختباراً لقوتي وصلابتي". "وقد أنجزنا القليل، ولكن كان ذلك استثناءً وبطولة في صحراء قاحلة. كان الهم الثقافي هاجساً. وكانت التهديدات والانتهاكات فوق طاقة التحمل.



**قوة وعي ونضج رافقت المسيرات المتحضرة كل جمعة، ومحت من ذاكرتي الجمعات السوداء الحزينة في فترة التسعينات. أمنت بهذا الشعب من جديد وبروحه الثورية. وتزعجني نخبة الجبائنة والمستتلة والانتهازية التي استفادت من كل المراحل**

بمنظور مختلف. الشعر دائماً في مكان آخر". "وأنا أنزع إلى الحرية في كل ما أكتب. ما عدا ذلك هي أحكام حراس المعابد وعبيد المركز".

مع تنوع ما كتبه الشاعرة نصيرة لا تعرف مدى ما خلفه هذا التنوع عليها، تقول "ولا أعرف ماذا أضافه لي خلال ممارسة هذه الكتابة. كنت أنا في كل ما خطته يدي. كنت الأسر والتحرر. كنت البناء والهدم. كنت أرواح اصداقائي الكونيين من كتاب وفلاسفة وفنانين ورحالة. ومجانين وعشاق. كنت ما يبهج وما يقلق وما يسائل ويجرر وما يتالم وما يتكسر وما ينبعث في كل هذا".

ظللت تيمة الصوت ملازمة للكثير من النصوص الجزائرية بسبب عشقية الدم التي عرفتها الجزائر، وقد تجلت بوضوح عند الشاعرة نصيرة وهي ترجع ذلك إلى رغبة في "أن أكتب عن الموت.. عن الفقد المرعب الذي خلفه موت والدي، فقد كتبت قرابة الخمسين صفحة ولم أستطع العودة إليها أبداً. لامست تيمة الموت في النصوص السردية الجزائرية وفق رؤية فلسفية وصوفية وانتهيت إلى ذات الفلق الوجودي والنوتر الذي يرافق حالة الكتابة". جيل كامل، تشرح بإيجاز "متخف وراء نصوص صادمة بالموت والدم والوحشية. ونصوص حارقة كانت شاهدة وشهيدة لزمان ما زال

آخر، وحياة أخرى. كيف يكون الشعر معي بعد كل الذي قطعته وحيدة وعارية ويطيعة".

### هامش لأصوات اليتيم

كتبت الشاعرة نصيرة محمدي مثلها مثل العديد من الأصوات الشعرية آنذاك على هامش زمن الرعب والموت الذي ضرب الجزائر وأعطى ولادة شعرية حارقة، تقول عنها "ولد شعرنا من الغياب ومن الهامش.. وشكل شعراء الهامش جوهر الشعرية الجزائرية". هم، تضيف "أبناء الخوف والدم والنار التي خلفت كل هذا الرماد ضحايا ومطعوبين ومجانين ومنفيين وقتلى. كانت البطولة الكبرى أن تنجو وتبقى حيا. لا زلت لم أشرف من تلك المرحلة القاسية من حياة الجزائر". وقد كانت "الكتابة عملية تطهير وعلاج للماسي التي عشتها، لم تكن سوى محاولة للنفوس من جديد. التدوب باقية. الشروخ الكبيرة اتسعت. كان الشعر ملاذاً. الشعر الذي تعثر عليه صباحاً بعد ليلة دامية في ابتسامه طفل راكض نحو المدرسة. في خطوات امرأة وثيقة رغم الموت. في عيون رجل يشد على روحك وأنت تنهاوي في المنحدرات. ظللت روح اليتيم ملازمة لشعراء جبلي ونظروا مكسورين، نصوصهم مثلهم تشبه ضوء رجالا مقتادين إلى

مناف بعيدة". عن نظرة البعض إلى أهم مواضيع النصوص التي تكتبها وماذا يقولون فيها، تقول "وجهات القارئ مختلفة ولا وصي على القارئ. القراء يعيون خاضعة لمعايير الجاهز والمنمط والآلي لن تحيل على جوهر النص، وجوهر الشعر. في اللغة مكابدة، وفي الكتابة كثافة التجربة ورؤية الأشياء والعالم بحرية. داخل الهامش تعاد قراءة ورؤية الشعر

